السّجل الزخرفي والأيقوني في بلدان المتوسط خلال العهدين القديم والوسيط

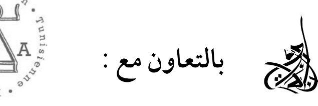


• **منسق الندوة :** محمد الغضبان

• لجنة التنظيم
سمير القيزاني
عادل الجادر
هاجر السعداوي
سعاد منياوي
ألفة كريت

• اللجنة العلمية
نبيل قلالة
مصطفى
الخنوسي
فوزي محفوظ
أحمد السعداوي




بالتعاون مع :





التصميم : **توفيق الساسي** / tsassitn@topnet.tn

ر د م ك : 978-9938-881-06-6
تونس – 2016





الجمهورية التونسية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تونس المنار

المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس

قسم الآثار

السّجل الزخرفي والأيقوني في بلدان المتوسط خلال العهدين القديم والوسيط

فعاليات الملتقى الدولي الثالث

2 ـ 3 ـ 4 ديسمبر 2013

بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس




جمع النصوص وأعدها للنشر

محمد الغضبان

تونس - 2016







الفهرس

عادل الجادر

لوحات فسيفسائية جنائزية من القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد
في مدينة أديسا (اورفا الحالية) بتركيا 7

محمد الغضبان

محاولة في تفسير تصميم أرباع الدنانير الفاطمية ذات النجمة السداسية
المضروبة بصقلية.. 33

الأمجد الدريدي




زاوية سيدي بومخلوف الخصائص الزخرفية والفنية 71

شريفة طيان ساحد

المواضيع الزخرفية في المطرزات الجزائرية في العهد العثماني 91





محاولة في تفسير تصميم أرباع الدنانير الفاطمية ذات النجمة السداسية المضروبة بصقلية

محمد الغضبان[1]

المقدمة

تنشأ الفنون الزخرفية وتتطور عادة في علاقة بالتطورات الحضارية وخصوصا المسألة الإيديولوجية. فالفاطميون الشيعة لمّا أقاموا خلافتهم في أفريقية ثم انتقلوا بها إلى مصر وجدوا أنفسهم أمام تحدي كبير. إذ كان عليهم نشر مذهبهم وأسسه الإيديولوجية في مناطق تتبع تاريخيا مذاهب أخرى خصوصا المذهب السنّي. لقد كان عليهم اعتماد وسائل يصل تأثيرها إلى جل الناس. فكانت النقود مثل الخزف إحدى أهم تلك الأدوات والتي تتميز بسرعة رواجها وتنقلها إضافة إلى الجانب الدعائي الذي تضمَنه. لقد ضمّنها الخلفاء الفاطميون منذ اقامتهم بأفريقية نصوصا شيعية صريحة مبتكرين في الوقت نفسه أنماط زخرفية رائعة.

ففي صقلية ابتُدع نمط فريد من نوعه منذ خلافة الحاكم بأمر الله ثمّ انتهى بانتهاء الإشراف العربي على الجزيرة. إنّه نمط زخرفي تتوزّع فيه العبارات المكوّنة للنص المنقوش وفق أوتار متوازية ومتقاطعة تُكوِّن فيما بينها مثلثين متقاطعين ينتجان النجمة السداسية. لقد ظل هذا النمط يُحيّر المختصين والدارسين الذين ولئن تمكنوا من قراءة نصوصه المنقوشة إلاّ أنهم لم يتوصلوا إلى فكّ ألغازه. والثابت أنّ النجمة السداسية أصبحت تقليدا في النقود والصّنج الأيوبية من بعد.

---

(1) جامعة تونس المنار، المعهد العالي للعلوم الانسانية بتونس





وفضلا على ذلك فإنّ تلك النجمة كانت تُزخرف الأواني الخزفية في افريقية منذ العهد الأغلبي ثم في العهد الفاطمي وأيضا خلال العهد الحفصي وتواصل ذلك في عديد من المناطق الإسلامية الأخرى شرقا وغربا حتى الفترة المعاصرة(2). إنّ أهمّ الأسئلة التي تُطرح هي من قبيل لماذا اُبتدع هذا النمط الزخرفي؟ ولماذا في صقلية بالذات ؟ وما هي رمزيته ؟ وهل هناك اتفاق حول رمزية واحدة تقود الفنانين لاعتمادها في زخرفة المشغولات التي ينتجونها ؟

تلك تساؤلات سنحاول الخوض فيها مقدمين بعض الفرضيات لتفسير اعتماد هذا النمط معتمدين على المعطيات التي تزخر بها المصادر الإخبارية الشيعية بالخصوص.

I- الأرباع الصقلية الفاطمية وانفرادها بتصميم مميّز في عهدي الحاكم بأمر الله والمستنصر بالله

1- احتكار صقلية لضرب أرباع الدنانير



لقد تميّزت دار ضرب صقلية الإسلامية منذ بداية نشاط السكّة فيها في العهد الأغلبي باحتكارها اصدار أرباع الدنانير وأجزاء الدراهم أيضا وهو عادة قديمة موجودة في الجزيرة منذ العهد الروماني كما تواصل ذلك مع النورمان الذين ضربوا أرباعا سمّيت بـ tari أي الطريّة. ومن بين الأدلة على ترسخ هذه العادة لتصبح قاعدة في نشاط السكة في الجزيرة نقود ثورة **أحمد بن قرهب** على الخليفة الفاطمي المهدي بالله. فقد ضرب أرباع الدنانير باسمه، ويوجد منها نماذج متراوحة بين سنتي 302 و303 هـ/ 914-915 (3). ففي العهد الأغلبي سُجّل على أجزاء الدراهم اسمان: الأول **بلرم** التي يقول عنها ابن حوقل أنّها قصبة صقلية ولا يُعرف في الجزيرة مدينة غيرها(4) كما تُسمّى وفق ما نقل ابن جبير

(2) على سبيل المثال في تونس وبلاد المغرب تواصل اعتماد نفس الزخرفة في الأواني الخزفية والنقود خلال العهدين الحفصي والعثماني.

(3) يمكن الرجوع إلى آخر ما كتب :
Engels (D.), 2010, « L'insurrection d'Ibn Qurhub: La Sicile entre Fatimides et Abbasides », dans : D. Engels/L. Geis/M. Kleu (éds.), *Zwischen Ideal und Wirklichkeit: Herrschaftsausübung auf Sizilien von der Antike bis zum Spätmittelalter*, Stuttgart, p. 247-264.



(4) ابن حوقل، 1992، **صورة الأرض**، بيروت، ص. 133.



ب»**المدينة**»[5]. أمّا الثاني فهو **صقلية**. يصير الأمر أكثر تشعّبا على النقود الذهبية ولا يمكّن من نسبة الأرباع إلى صقلّية باعتبار وأنّ السياسة النقديّة المتّبعة من قبل الأمراء الأغالبة كانت تقضي بعدم نقش اسم مكان الضرب على النقود الذهبية.

في العهد الفاطمي تواصل نفس التقليد لكن دُوّن اسم مكان الضرب وهو صقلية فقط وذلك بالاعتماد على ما يوجد من نقود محفوظة اليوم. لقد احتكرت صقلية ضرب الأرباع طوال العهد الفاطمي إلى غاية استرجاع النورمان لها. وقد عمد هؤلاء إلى اتّباع نفس التقليد فضربوا نقودهم أرباعا دونما تغيير يُذكر[6]. ولن تشهد أوزان النقود تغييرا إلا في أواخر القرن السادس هجري مع عائلة مالكة جديدة هي عائلة les Suèves. هذا النوع من النقود سوف يتوقف عن الصدور في صقلية سنة 1278 م ليُعوَّض بعملة جديدة تخلّصت من التأثيرات العربية الاسلامية الفنية والتقنية. فهذه الرباعيات هي التي عُرفت في أوروبا بالأرباع «الطريّة» أي الجديدة وحديثة الضرب وذلك دلالة على ضمان جودتها[7].



لقد كانت معاملات صقلية زمن الحكم الاسلامي تقتصر على الأرباع التي تراضوا عليها وأصبحت مكوّنا أساسيا من حياتهم ومعاملاتهم اليومية. فها هو ابن حوقل في معرض حديثه عن طبائع وأخلاق أهل صقلية يذكر أنّ امرأة كانت تجمع شهودا زورا لمؤازرتها في قضية رفعتها تدّعي فيها ملكية دار. وفي الأثناء استدرجت معلّما يُسمى بأبي ابراهيم اسحاق بن الماجلي «**ضمنت له رشوة رباعيات على أدائها**»[8]. يذكر ابن جبير في رحلته أنّ الملك غليام أمر بـ «**100 رباعي من سكّته**» لفقراء من المسلمين المحتجزين في المراكب لعدم قدرتهم على خلاص الأداءات الواجبة عليهم[9]. كما تزخر وثائق الجنيزة بمعطيات

---

(5) ابن جبير، 1980، **الرحلة**، دار صادر، بيروت، ص. 297. مع العلم أن ابن جبير عاش بين 614-539 هـ/ 1217-1144 م واستغرقت رحلته ثلاث سنوات بين 578-581 هـ/ 1182-1185 م.

(6) راجع :
De Luca (M.-A.), 1998, *Le monete con leggenda araba della Biblioteca Comunale di Palermo*, Parte I, Palermo.

(7) Grierson (P.), Oddy (W.-A.), 1974, « Le titre du tari sicilien du milieu du XIe siècle à 1278 », In : *Revue numismatique*, 6e série, T. 16, p. 123-134 ; p. 123.

(8) ابن حوقل، 1992، ص. 119. راجع أيضا ص. 124.

(9) ابن جبير، ص. 295. كما ذكر الرباعيات في موضع آخر يتحدّث فيه عن معاملة موظفي الملك غليام لهم، ص. 304.





مهمّة تؤكّد هذا الأمر. فتذكر إحداها «**الأرباع البلرمية**»[10] وهي عبارة تحيل على المكان الذي تروج فيه تلك النقود. يبدو من خلال هذه النسبة أنّ هناك اتفاق حاصل ليس داخل الجزيرة فحسب بل في كل المجال الاسلامي على أن صقلية تتميّز بضرب الأرباع فقط. وربما كان المقصود ب«**الدنانير المخطّطة**»[11] و«**الدراهم المشمسة**»[12] و«**الدنانير النزارية الطرية**»[13] تلك الأرباع التي تحمل التّصميم محور اهتمامنا في هذه الدراسة. وباستثناء الدنانير الطرية التي قلّدها النورمان والتي تشير بإطلاق المعنى إلى الأرباع الحديثة والجيّدة بقطع النظر عن شكلها، فإنّ تصميم الأرباع التي ندرسها هنا قد حملته كذلك أنصاف الدراهم المضروبة بصقلية أيضا[14] وهو من شأنه أن يساعد على تفسير المسمّى الذي أطلقه التجار والمتعاملون بتلك النقود وغيرها التي تروج في العالم الاسلامي في القرن الخامس هجري.




عموما من الواضح أنّ نشاط السكّة بصقلية تنظّم بشكل مغاير عمّا هو منتشر ومعمول به في بقيّة أجزاء العالم العربي والإسلامي وخصوصا افريقية التي كانت صقلية تتبعها مدة طويلة من الزمن وربما لم تنقطع تلك العلاقات رغم أنّه بعد 361 هـ أصبحت الجزيرة تتبع مباشرة وبشكل رسميّ مركز الخلافة الفاطمية بالقاهرة. فأكيد أنّ دار الضرب ببلرم مُنحت وظيفة اصدار أجزاء الدنانير والدراهم (وتحديدا الخروبة منذ العهد الأغلبي) فقط في إطار تقسيم الاختصاصات النّقدية. لقد كانت الرباعيات هي النقود المعروفة والمنتشرة والتي حظيت تدريجيا بثقة المتعاملين بها في الجزيرة. ربّما حدث ذلك التّخصيص زمن الأغالبة، لكن غياب اسم دار الضرب من نقود الذهب جعل عمليّة الحسم في هذا الجانب بالذات تبدو صعبة إذا ما استثنينا أرباع ثورة أحمد بن قرهب بعيْد نهاية الحكم الأغلبي وبداية الحكم الفاطمي. هذا الثائر ضرب كما سبق وبيّنا رباعيات منذ 302 هـ وهو إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ الجزيرة تعوّدت اصدار وترويج واستعمال الأرباع لعقود

(10) Goitein (S.-D.), 1967, *A mediterranean society, the Jewish communities of the Arab word as portrayed in the documents of the Cairo Geniza*, vol. I, Economic Foundations, p. 235.

(11) Normana (Still Han), 1973, « The eleventh century merchant House of Ibn Awkal », (a Geniza Study), in *J.E.S.H.O*, vol XVI, p. 58-62.

(12) Goitein, *A mediterranean*, p. 373.

(13) Goitein, *A mediterranean*, p. 237.

(14) Fenina (A.), 2007, *Numismatique et histoire monétaire de la monnaie en Tunisie, t. II, Monnaies Islamiques*, Tunis, n° 297-300, p. 264.





من الزمن بما يضمن تاريخيّا للأغالبة قرار اعتماد تلك السياسة. فضلا عن ذلك فإنّ أجزاء الدراهم وتحديدا الخروبة المنتشرة كثيرا في الجزيرة والتي تواصل اصدارها بعد الأغالبة مع الخلفاء الفاطميين تؤكّد تبنّي الأغالبة لذلك التقسيم.

الأكيد أنّ الأمور ستصبح أكثر وضوحا مع الفاطميين فقد نُقش اسم دار الضرب «صقلية» فحسب على الرباعيات خلال تبعيّة الجزيرة للفاطميين بمصر وإلى حدود نهاية السيطرة العربية الإسلامية عليها في أواسط القرن الخامس هجري واسترجاع النورمان لها. لقد تروواح اسم دار الضرب بين عبارتين هما «صقلية» و«مدينة صقلية». وربما يكون المقصود بمدينة صقلية بلرم التي يقول عنها ابن جبير في رحلته أنّ اسمها المشهور عند المسلمين هو «المدينة» في حين هو «بلارمه» عند غيرهم

2- تصميم الأرباع الصقلية الفاطمية ذات النجمة السداسية

هذا النمط من الفريد والجديد من الأرباع الصقلية انطلق اصداره في عهد الخليفة الفاطمي السادس أبو علي المنصور الحاكم بأمر الله (386-411 هـ/ 996-1021 م) لبعض السنوات وبعد فترة انقطاع تزامنت مع حكم الخليفة السابع أبو الحسن علي الظاهر لإعزاز دين الله (411-427 هـ/ 1021-1036 م) سيُستأنف في عهد الخليفة الثامن أبو تميم معد المستنصر بالله (427-487 هـ/ 1036-1094 م) إلى أن سقطت صقلية في أيدي النورمان سنة 455-456 هـ/ 1063-1064 م. لقد احتكرت دار الضرب بصقلية صناعة هذا النمط من الأرباع فأصبح الأكثر رواجا لينتهي بانتهاء الحكم العربي الإسلامي للجزيرة. ورغم أنّ النورمان الذين عُرفوا بتقليدهم للأرباع الفاطمية لما تكتسيه من سيط وشهرة تجارية ومالية تجاوزت حدود العالم العربي الاسلامي ورغم أنّهم لم يغيّروا التقاليد الفنية والتقنية في ضربها(15)، فإنّهم لم يقلّدوا هذا النمط ذي النجمة السداسية.

إنّ أرباع الدنانير التي تمثّل موضوع هذا البحث بدأت تُضرب في عهد الحاكم بأمر الله وبأعداد قليلة وفي سنوات متقطّعة منذ سنة 404 هـ تقريبا ثمّ غاب هذا النمط مدّة تناهز فترة حكم الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله ليعود من جديد في



(15) Bresc (C.), 2002, « Les monnaies arabes des souverains chrétiens (IX^{e}-XIII^{e} siècles) », In : *Actes des congrès de la Société des historiens médiévistes de l’enseignement supérieur public*, 33^{e} congrès, Madrid. p. 177-194.





عهد الخليفة المستنصر. وخلال هذين الدّورين من الاصدارات حافظ النمط على تصميمه العام مع بعض التغييرات الشكليّة التي ستتمّ الاشارة إليها لاحقا. ولو ربطنا اصدار هذا النمط بالأحداث التاريخية التي للصقليّة علاقة بها يمكن أن نفهم سبب اقتصارها على الخليفتين الحاكم والمستنصر. فقد ذكر احسان عباس أنّ الحاكم هو أوّل من منح للوالي في صقليّة الألقاب والتشريفات. مع العلم أنّ الولاة في الجزيرة هم من السرة الكلبية التي تولت منذ سنة 336 هـ/ 947–948 م إمرة الجزيرة في شخص الحسن بن علي بن ابي الحسين. ومنذ سنة 359 هـ/ 970 م اعترف الفاطميون ضمنيّا بالحكم الوراثي للجزيرة مع بني الكلبي[16]. ويقال أنّ الأمير أبو الفتح يوسف بن عبد الله الملقب بثقة الدولة (379–388 هـ/ 990–998 م) هو أوّل من وصلته هذه الألقاب وربما يكون في عهد العزيز بالله. ثم تولى ابنه جعفر الملقب بتاج الدولة وبعد أن ثار عليه أهل صقلية عوّضه بأخيه الأكحل الذي لُقّب بتأييد الدولة سنة 410 هـ/ 1017 م إلى أن خرج عليه أهل صقلية سنة 427 هـ/ 1037 م وطلبوا المساعدة من المعز بن باديس فأرسل إليهم ابنه عبد الله الذي لم تدم ولايته عليها كثيرا وأخرجه أهلها أيضا ثم ولوا الصمصام (صمصام الدولة) وهو أحد الكلبيين وأخ الأكحل حسب روايات النويري وابن خلدون[17]. لقد كانت آخر هذه الألقاب والتشريفات التي وصلت إلى صقلية في عهد الخليفة المستنصر حيث منحها للصمصام الذي أزيح عن الحكم سنة 435–436 هـ/ 1044 م وانتهى معه حكم الكلبيين في الجزيرة لتتحول إلى منطقة يتنافس فيها الحكام الصغار. وهنا نتساءل أيهم ضرب النقود باسم الجزيرة الخليفة الفاطمي المستنصر ؟ مع العلم أنّ التنافس كان على أشدّه سواء بين القادة العرب أنفسهم أو بينهم وبين البيزنطيين والنورمان وبالتالي كان لضرب النقود باسم الخليفة الفاطمي ضرورة في إطار البحث عن شرعية ودعم خارجي أيضا. وهنا لابدّ أن يكون الحاكم المسيطر على بلرم هو الذي أصدر هذا النمط من النقود. هذه المدينة يقول عنها عزيز أحمد أنّها تحكمها جماعة من أعيان المدينة[18].



(16) أحمد (عزيز)، 1980، **تاريخ صقلية الإسلامية**، نقله إلى العربية أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، ص. 38.

(17) عباس (إحسان)، 1975، **العرب في صقلية**، بيروت، ط 1، ص. 47 ؛ أحمد، **تاريخ صقلية**، ص. 39-40، 43.

(18) أحمد، **تاريخ صقلية**، ص. 43.

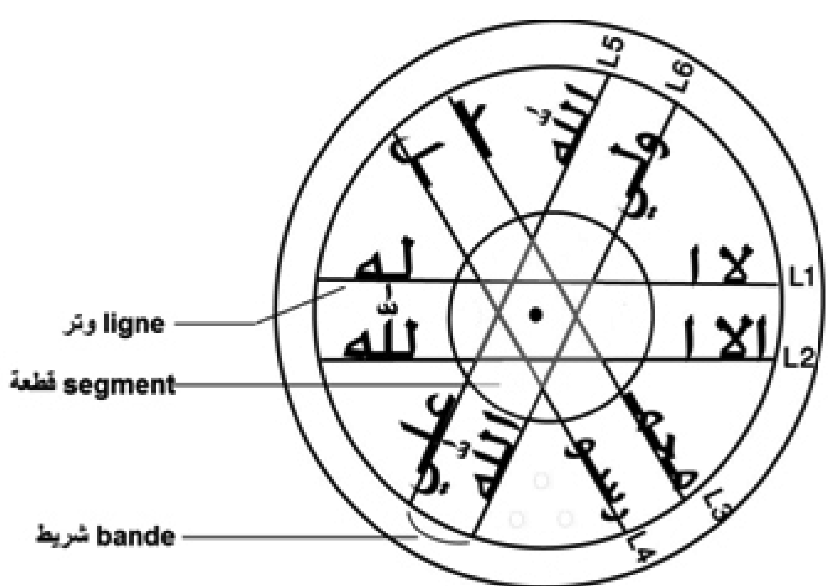




إنّ تصميم هذا النمط من الأرباع هو فريد من نوعه ولم يُسبق أن صُنع مثله منذ نشأة النقود العربية الإسلامية وهو يذكّرنا بنمط نقود رابع الخلفاء الفاطميين بافريقية المعز لدين الله الفاطمي ذي الدوائر الذي يُعتبر بدوره ثورة فنيّة. فالخلفاء الفاطميون عوّدونا بإبداعات من هذا النوع طوال تاريخهم في افريقية ثم في مصر وبلاد الشام بعد سنة 361 هـ/ 972 م تاريخ الانتقال إلى القاهرة.

في كلا وجهي الرباعي يتكرّر نفس التصميم لكن مع تغيير في النصّ المنقوش من ناحية أولى وفي عدد الكريّات البارزة داخله. تتوزّع كلمات نصّ كلّ وجه في شكل أوتار ستّة مُنقسمة إلى ثلاثة أزواج كلّ زوج منها يتكوّن من وتريْن متوازييْن يتقاطعان مع زوجيْ الأوتار المتبقيّة داخل دائرة خطّية فترسُم نجمة سداسية مضلّعة تشكّلت نتيجة تداخلِ مثلثيْن متساوييْ الأضلاع. وبتقاطع المثلين الكبيرين تنشأ ستة فضاءات في شكلِ مثلّثات صغيرة متباينة الأحجام شكّلتْ بدورها زوايا النجمة السداسية. وأنتج التداخل بين الدائرة الخطية والمثلّثيْن سبعة قطائع، ستّة منها تحفّ بزوايا النجمة المضلّعة كلّ قطعة منها خماسية الأضلاع عادة ما تكون غير متجانسة المقاسات، أمّا السابعة فهي سداسية الأضلاع تتوسّط النجمة لكنّها أيضا متباينة مقاسات الأضلاع عادة.







وثيقة 1 : مثال لوجه ربع فاطمي



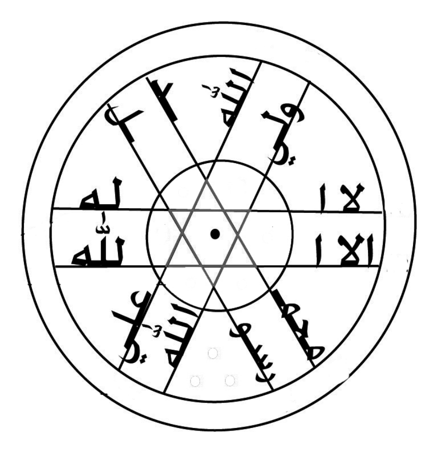


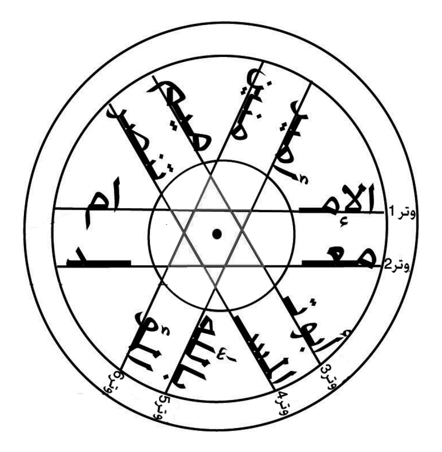
تشترك كل الأرباع المضروبة في عهدي الحاكم والمستنصر في هذا التصميم العام لكنّها تختلف في النصوص المنقوشة وفي عدد الكريّات البارزة والضخمة نسبيّا مقارنة بحجم النجمة عموما إذ أنّ الكريّة الواحدة تكاد تملأ الفراغ المخصّص لها داخل إحدى القطائع السبعة الصغرى. ويمكن عموما تمييز ثلاث طرز في هذا النمط :

1 - الطراز الأول : ذو كريّة واحدة

هذا الطراز يتكوّن أساسا من نفس التصميم السابق الذكر لكن يتميّز بوجود كريّة بارزة وحيدة في القطعة الوسطى من النجمة السداسية وذلك في كلا الوجهين. وقد ضُرب هذا الطراز في عهد الخليفة الحاكم بالله. وتعود الأمثلة التي تحمل اسمه إلى سنتي 404 هـ و407 هـ. ومن الممكن أن تكون هناك ضروبا أخرى قبل سنة 411 هـ تاريخ اختفائه وتولّي الظاهر لإعزاز دين الله الخلافة من بعده. يتكرّر سكّ هذا الطراز في عهد الخليفة المستنصر بالله منذ السنوات الأربعين من القرن الخامس هجري (سنوات 440 هـ)على ما يبدو اعتمادا على ما توفّر من نماذج تعود إلى مدّة خلافته إلى حدّ الآن.







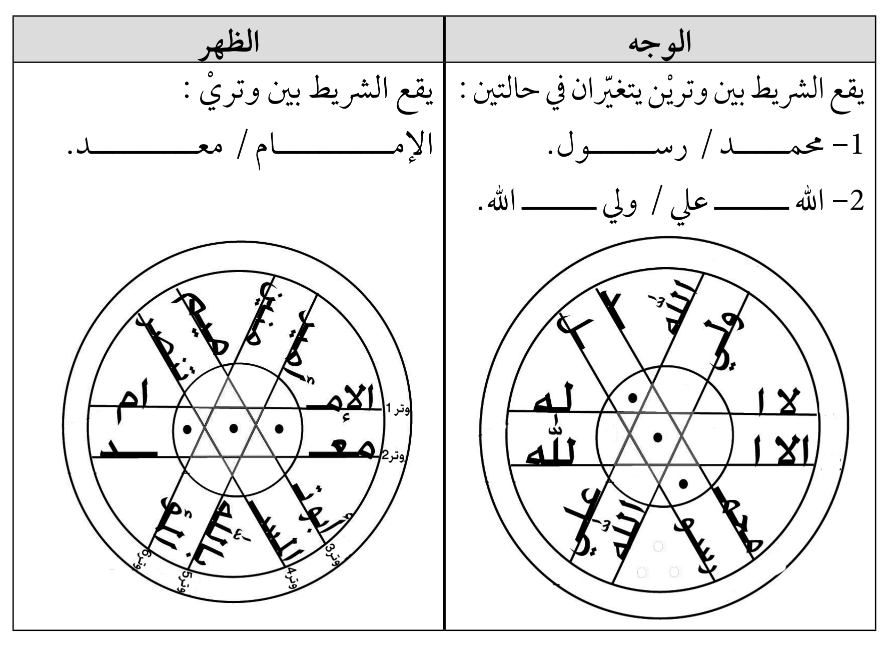
وثيقة 2 : طراز 1 : ذو كريّة واحدة

2 - الطراز الثاني : ذو ثلاث كريات

هذا الطراز يشبه الطراز الأول لكنّه ضُرب في عهد الخليفة المستنصر بالله فقط. وهنا يتغيّر عدد الكريّات التي تُصبح ثلاثة داخل ممرّ مستقيم واحد وموزّعة على القطع الثلاث داخل شريط واقع بين وتريْن.







الوجه	الظهر
يقع الشريط بين وترين يتغيّران في حالتين : 1- محمـــــد / رســـول. 2- الله ـــــ علي / ولي ـــــ الله.	يقع الشريط بين وتريْ : الإمـــــــام / معــــــد.

وثيقة 3 : طراز 2 : ذو ثلاث كريات




أحيانا يتضمّن هذا الطراز كريّة إضافيّة في كلا الوجهين :

الوجه	الظهر
توجد الكرية خارج الدائرة الخطيّة في المنطقة التي يُحدثها تقاطعٌ بين أوّل مقطع من وتر رســول و آخر مقطع من وتر ولي ـــــ الله.	توجد الكريّة خارج الدائرة الخطيّة في المنطقة التي يُحدثها تقاطع بين أوّل مقطع من وتر المؤ ـــــ منين و آخر مقطع من وتر معـــــد.

وثيقة 4 : طراز 2 : ذو ثلاث كريات






وثيقة 5 : ربع دينار باسم المستنصر بالله[19]

3– الطراز الثالث : ذو أربع كريات

ضرب هذا الطراز في عهد الخليفة المستنصر بالله أيضا ويختلف عمّا سبق في عدد الكريّات التي تُصبح أربع تتوزّع في شكل مثلث متساوي الأضلاع إذا ما رُبط بين ثلاثة منها في حين أنّ الرابعة تتوسّط ذلك المثلث. وتتوزّع كالآتي :



الوجه	الظهر
1– تقع الكريّة الأولى في القطعة الأولى داخل الشريط الموجود بين وتريْ لا ا ـــ له / الا ـــــ الله. 2– أمّا الكرية الثانية فتقع في القطعة الثالثة والأخيرة داحل الشريط الموجود بين وتريْ محمـ ـــ د / رســـول. 3– في حين تقع الكرية الثالثة في القطعة الثالثة والأخيرة الموجودة بين وتريْ الله ـــــــ علي / ولي ـــــــ الله. 4– وتقع الكريّة الرابعة في القطعة السادسة.	1– تقع الكريّة الأولى في القطعة الأولى داخل الشريط الموجود بين وتريْ الإمـــــــام / معــــــد. 2– أمّا الكرية الثانية فتقع في القطعة الثالثة والأخيرة داخل الشريط الموجود بين وتريْ أبو تـــــــميم / المستـــــــنصر. 3– في حين تقع الكرية الثالثة في القطعة الأولى الموجودة بين وتريْ أميـــــر / المـــــــؤمنين. 4– وتقع الكريّة الرابعة في القطعة السادسة.



وثيقة 6 : جدول توزع النصوص في الطراز 4

(19) http://www.sixbid.com/browse.html?auction=676&category=14856&lot=679229



في بعض الأرباع من هذا الطراز نلاحظ وجود ثلاث كريّات متناظرة في شكل مثلث متساوي الأضلاع في كلا الوجهين :

الوجه	الظهر
توجد الكريات الثلاث خارج الدائرة الخطيّة في المنطقة التي يُحدثها تقاطع بين أوّل مقطع من وتر رســـول وآخر مقطع من وتر ولي ـــــ الله.	توجد الكريات الثلاث خارج الدائرة الخطيّة في المنطقة التي يُحدثها تقاطع بين أوّل مقطع من وتر المؤـــــمنين وآخر مقطع من وتر معـــــــــد.

وثيقة 7 : جدول يوضح بعض الاختلافات في الطراز 3



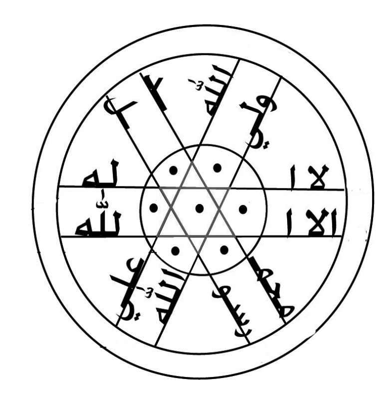


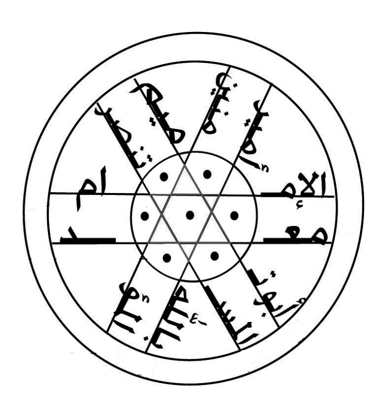

وثيقة 8 : ربع دينار باسم المستنصر بالله

4- الطراز الرّابع :

في هذا الطراز يصبح عدد الكريّات سبعة مُوزَّعة على القطائع السبعة في كلا الوجهين. وفي بعض الأحيان نلاحظ وجود كريّة زائدة قد تكون بحكم موضعها ناتجة عن خطأ من النقّاش إذ قد تحمل القطعة الواحدة كريّتيْن متراصّتيْن الواحدة فوق الأخرى. وبالتثبّت من احدى الأرباع تأكّد أنّ النقّاش أخطأ في رصد القطعة التي كان عليه نقش الكريّة داخلها لأنّنا في الوجه الآخر نلاحظ أنّ الكريّة اتخذت مكانها خارج الدائرة الخطيّة ين طرفي وترين متقاطعين كمثل الطرز السابقة. هذا الطراز ضُرب فقط في عهد الخليفة المستنصر بالله.







وثيقة 9 : رسم للطراز 4









وثيقة 10 : ربع دينار باسم المستنصر بالله

إنّ تصميم هذا النمط من الرباعيات يثير التساؤل حول رمزيّته ودوافع تبنّيه ومن اتخذ القرار بذلك هل كان الأمير الكلبي بصقليّة ؟ أم الخليفة الفاطمي ؟ في هذا العمل سنحاول تقديم عدد من الفرضيات المستندة إلى حجج تاريخية.

II– النجمة السداسية في غير الأرباع الفاطمية

1– في بعض النقود والأوزان والصنوج

يحتفظ متحف بلرم بقطعة نقدية أغلبية عليها نجمة سداسية ولا نجد لها مثيلا في بقية النقود الأغلبية ممّا يدفع بالتساؤل عن سبب ذلك هل هو متعلق بسياسة دار الضرب ببلرم ؟ أم هو تأثّر بفنّ محلّي أوروبي يذكّرنا بتأثر النقود



الإسلامية في الأندلس زمن الولاّة الأمويين بالفنّ المحلّي القوطي. لقد نشرت ماريا دي لوكا Maria De Luca درهما أغلبيا مضروبا ببلرم ومؤرخ بسنة 230 هـ يحمل في أسفل الظهر نجمة سداسية[20] ربما كانت الغاية منها زخرفية لها علاقة بتصوّر محلي قديم. وفي فلس ضرب سنة 100 هـ باسم طرابلس نُقشت نجمة سداسية بسيطة لا علاقة لها آنذاك بالمذهب الشيعي لكن قد تكون متأثرة بالفن البيزنطي القديم خصوصا المنفّذ على النقود والذي تزخر به الفلوس والصوليدوس على السواء[21]. كما نُقشت النجمة السداسية في بعض النقود النورماية المضروبة بعد استرجاع صقلية وتحديدا باسم الملك غليالم الثاني بـ**مسيني**[22] وهو ما يحيلنا على فنّ محلّي قديم قد يكون تأثر به المسلمون قبل فقدان صقليّة.



كما يحتفظ متحف الفن الإسلامي برقادة ببعض الصنوج والأوزان الفاطمية على شكل نجمة سداسية تحمل إسم أبو عبد الله الشيعي الملقّب ب«السيّد» وإسم الخليفة عبد الله المهدي بالله. هذه النجمة تحمل عادة في أطرافها بعض الثقوب المتناظرة في شكل مثلّث. ففي الأوزان باسم **السيّد** توجد ثلاث ثقب في ثلاث زوايا متناظرة عند الجمع بينها تعطي مثلثا. أما في الأوزان باسم عبد الله فنجد أحيانا في ثلاثة زوايا متناظرة تسع ثقب موزعة بينها في كلّ منها ثلاث. كما نلاحظ وجود نجمة سداسية في إحدى الأوزان **السيديّة** منقوشة أسفل النص. ومن الواضح أنّ لاعتماد النجمة السدساية في الأوزان الفاطمية الأولى المؤرّخة بزمني الداعي أبي عبد الله الشيعي والخليفة عبد الله المهدي بالله دواعي مشابهة لاستعمالها في الأرباع الصقليّة قد تكون متعلقة بالتنجيم وبالفكر الإسماعيلي عامة. كما أنّ أوزان النقود أو ما يسمّى بالصنج التي تعود إما للفاطميين أو الأيوبيين وآخرها في القرن 6 هـ/ 12 م أو للمماليك البرجية (أواخر القرن 8 هـ/ 14 م إلى بداية القرن 10 هـ/ 16 م) كان بعضها يحمل صراحة النجمة السداسية المتكونة من مثلثين متداخلين.

---

(20) De Luca, p. 163, n° 8.

(21) هذا الفلس كان محل دراسة من قبلنا سننشر قريبا في مجلة أفريكا.

(22) De Luca, p. 356, n° 120-123.







وثيقة 11 : بعض الأوزان الفاطمية المحفوظة بمتحف الفن الإسلامي برقادة

لقد تواصل استعمال النجمة كعنصر زخرفي في النقود في العهد الأيوبي وفي زمن المماليك في مصر وفي النقود التركمانية وكذلك في الفترة الحديثة مع العثمانيين خصوصا في الإيالات التابعة لها مثل طرابلس وأيضا في المغرب الأقصى زمن العلويين حتى زمن الإستعمار الفرنسي واعتبار النجمة جزءا تراثيا مغربيا. كما تواصل استعمال النجمة في المصوغ التقليدي التونسي والمغربي وأحيانا كبيرة بنفس التصميم الذي رأيناه في بعض الأرباع التي ضُربت باسم المستنصر بالله وبها سبعة كريّات ممّا يجعلنا أكثر اقتناعا بالتفسير الفلكي المرتبط بالنجوم. ففي النقود المضروبة في طرابلس وفاس مثلا في القرن 13 هـ/ 19 م كانت النجمة السداسية محاطة بعدد متفاوت من الكريات فضلا عن الهلال أحيانا.







وثيقة 12 : صنج فاطمية[23] ومملوكية[24]

(23) http://aregy.com/forums/viewtopic.php?t=28192
(24) http://numismatics.org/html/dpubs/islamic/ga/GayerAndersonPage30.html



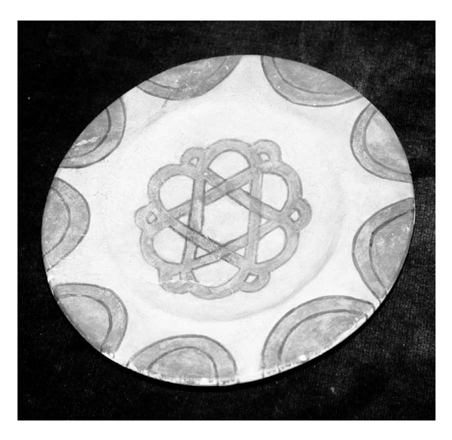


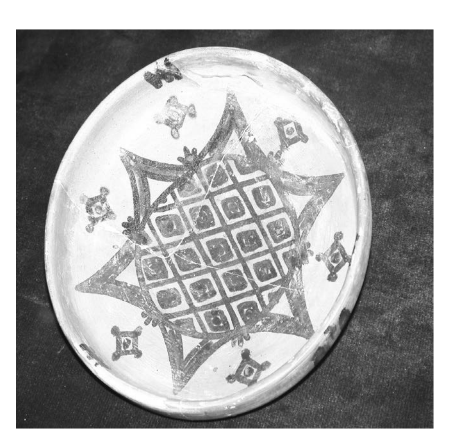
وثيقة 13 : درهم لصلاح الدين الأيوبي ضرب بحلب سنة 584 هـ/ 1188 م

2- في بعض الأواني الخزفيّة

يحتفظ متحف الفن الإسلامي برقادة مثله مثل الكثير من المتاحف العربية والعالمية ببعض الأواني الخزفية التي زُخرفت بالنجمة السداسية. لكن المثير فيها احتواؤها على نفس خصائص تصميم النجمة السداسية في الأرباع الفاطمية الصقليّة. فأحيانا نجد ستة أشكال حول زوايا النجمة إضافة إلى شكل سابع داخلها.









وثيقة 14 : إناءان خزفيان معروضات بمتحف الفن الإسلامي برقادة

ومن بين الأواني المحفوظة في متحف رقادة صحن رُسمت فيه النجمة السداسية بنفس التصميم الذي ميّز أرباع صقلية الفاطمية ولوح المأمون العباسي أي ذلك المتكوّن من النجمة تحفّها ستة كريّات وتتوسطها كريّة سابعة لكن الغريب هو تكرّر العدد سبعة في أنصاف الدوائر التي تزيّن شفة الصحن. فباللون العسلي زُيّنت سبعة أنصاف أما بالأخضر زيّنت 14 نصفا توزعت كل اثنين معا تفصلها أنصاف الدوائر



العسلية. وبالإضافة إلى ذلك فإنّ أوراق النبيل (اللوتس) Feuilles de Lotus عددها ست فضلا عن وجود ورقتين بيضاويتين متقابلتين تفصل بينهما النجمة السداسية ويقعان فوق زاويتين من زواياها ورُسم داخل كلّ منهما شكل يشبه العين. يذكّرنا هذا الصحن الذي أرّخ بالعهد الأغلبي (القرن 3 هـ/ 10 م)[25] قطعا بنفس التصميم المتّبع في أرباع الدنانير المذكورة ومن الأكيد أنه ينهل من نفس المعين. ولو صحّ أنّ الورقتين المذكورتين ترمزان إلى عينين فإنّ وجودهما في التصميم داخل الصّحن قد يكون لغاية سحرية يُراد منها درء الشر والحسد علما وأنّ هذه العادة قديمة ووجدت في النقوش المصرية القديمة (عين حورس أو عين القمر) ولا تزال إلى اليوم سارية في المجتمعات الشرقية وكثيرا ما تقترن عند اليهود مثلا بالنجمة السداسية والخمسة والخميسة التي لا يزال الإعتقاد فيها واستعمالها منتشرا بين التونسيين أيضا. ومن الممكن أن يكون هذا الصحن صُنع في العهد الفاطمي ربما في نهاية القرن 3 هـ أو في القرن 4 هـ/ 11 م.

يتكرّر نفس التصميم المتعلق بالنجمة والكريّات السبعة في صحن فاطمي آخر موجود بمصر ويعود إلى العهد الفاطمي لكن هذه المرة يحيل مباشرة على استعمال النجمة بنفس الطريقة ولنفس الغايات التي انتشرت زمن الخلفاء الفاطميين وربما كان الجانب السحري الطلسمي هو الأكثر اقناعا من غيره في تفسيرها باعتبار وأنّ الكريّات هذه المرة لم تكن دائرية بل بيضاوية غير متناسقة في شكل العين خصوصا وأنّنا نجد في صحن فاطمي آخر محفوظ بمصر تصميما آخر من نجمة خماسية في شكل شريط ورقي مملوء كتابات تبدو طلسمية وتحيط بها خمسة عيون. وإذا نظرنا إلى النقاط الكثيرة المحيطة بالنجمة السداسية ولواحقها يمكن أن تحيلنا على الأفلاك والكواكب.

(25) Collectif, 1994, *Couleurs de Tunisie 25 siècles de céramiques*, Paris, p. 128, n° 67.







وثيقة 15 : إناء خزفي محفوظة بمتحف الفن الإسلامي برقادة




وفي صحن مؤرّخ بالقرنين 6–7 هـ/ 12–13 م[26] رُسمت النجمة السداسية الناجمة عن تداخل مثلثين كما تمّ تنفيذ نفس التصميم لكن باضافة أعداد أخرى من الكريات داخل النجمة وحولها مع إدخال تناسق وتناظر للكريات وللأشكال النباتية الأخرى حول النجمة داخل الدائرة الخطيّة وذلك في وعاء فخاري آخر مؤرّخ بالقرنين 7–8 هـ/ 13–14 م[27]. وهو ما يؤكّد تواصل استعمال هذه الزخرفة بعد قرون في تونس في العهد الحفصي خلال القرنين 8–9 هـ/ 14–15 م[28]وفي غيرها من المناطق إذ أن عصر المماليك مثلا في مصر عرف تواصلا لهذه الزخرفة. لكن من المهم أن نلاحظ بأن استعمال النجمة السداسية الناتجة عن تداخل مثلثين اختلف رغم تواصله.

كما تذكّرنا هذه الزخرفة باللوح الخشبي العباسي الذي ربما يعود إلى زمن الخليفة المأمون والذي يتضمّن نفس المكونات الزخرفية المتطابقة مع أرباع المستنصر بالله.

(26) *Couleurs de Tunisie*, p. 142, n° 92.
(27) *Couleurs de Tunisie*, p. 155, n° 108.
(28) *Couleurs de Tunisie*, p. 158, n° 112, p. 161, n° 116, p. 169, n° 125.





3 – في بعض العمائر

إنّ عملية إستطلاعية في الكتب والمدونات تبيّن أنّ العمائر التي تضمّنت مثل هذه الزخرفة مؤرّخ تشييدها أو ترميمها بالقرن الثالث هجري / التاسع ميلادي وما بعده أي ما يتعلّق بالعهد الأغلبي في افريقية والعهد الفاطمي في افريقية أيضا ومصر على الأقل هذا فضلا عن وجود هذه الزخرفة في عمائر حديثة في البلاد التونسية.

ففي جامع عقبة بالقيروان وداخل بيت الصلاة توجد النجمة السداسية أو ما يشاكلها من الزهور التي تزيّن لوحات المحراب الرخامية المؤرّخة بعهد الأمير أحمد بن محمد الأغلبي وفي بعض اللوحات الخزفية ذات البريق التي توشّي جدار المحراب وقاعدة القبة. كما تزيّن النجمة السداسية العقد الأمامي لقبّة المحراب وأيضا جدار المجنبة اليمنى للرواق الأوسط المقابل للمحراب.



ففي المحراب تحمل اللوحات الرخامية المخرّمة زهرات من ستّة فصوص جاءت على شكل النجمة السداسية ونجد مثلها ما هو مرسوم في بعض اللوحات الخزفية في جدار المحراب. أمّا في الرواق الأوسط وفي أعلى المجنبة اليمنى نُقشت النجمة السداسية داخل دائرة وتحفّها في أركانها الستّة وردات من مفصّصة بنفس العدد فضلا عن وردة أخرى تتوسّطها. وهذه المرّة نجد نفس الشبه بينها وبين الصحن المذكور سابقا واللوح الخشبي العباسي والأرباع الفاطمية الصقليّة وهو ما يثير التساؤل عن تاريخ إدخال هذه الزخرفة في افريقية هل تمّ في العهد الأغلبي تقليدا لتصميم عباسي أم تأثّرا بالتصميم الفاطمي؟ وبقطع النظر عن الترميمات والإضافات التي أدخلها الأغالبة على جامع عقبة فإنّ المعز لدين الله أمر سنة 345 هـ بإجراء إصلاحات هو أيضا كما شهد الجامع تدخّلا آخر في عهد المعز بن باديس خصوصا في بيت الصلاة. وبمقارنة تصاميم الأواني الخزفية وما زخرف بعض العمائر خصوصا الدينية منها يمكن تأريخها بالعهد الفاطمي نظرا لأنه أكثر العهود الذي عرف انتشار استعمال النجمة السداسية.





وثيقة 16 : النجمة السداسية في أعلى جدار الرواق الأوسط ببيت الصلاة بجامع عقبة بالقيروان



في العمائر الفاطمية بمصر يكثر ادراج النجمة السداسية أو ما يشاكلها من الزخارف النباتية والهندسية ومن بين الأمثلة نذكر الواجهة الأمامية لجامع الأزهر التي تعود لعهد المعز لدين الله الفاطمي، وفي قبة المحراب بجامع الحاكم بأمر الله وفي باب النصر الفاطمي وباب الفتوح وفي جامع الأقمر (بداية القرن 6 هـ/ 12 م) وجامع المنصور قلاوون المملوكي (القرن 7 هـ/ 14 م) وقبة الصالح نجم الدين أيوب (القرن 7 هـ).

كما تزخر القصور الصحراوية والعمائر التقليدية في الجنوب التونسي مثلا بهذه الزخرفة. وفي صومعة الجامع الكبير بتستور والتي ترجع إلى الفترة الحديثة نجد النجمة السداسية دون تلك الإضافات التي راجت في العهد الفاطمي. ومن الممكن أن يكون استعمالها لغايات زخرفية بحتة.

II- محاولة في تفسير تبنّي هذا التصميم

1- تفسير اقتصادي



لقد درج النورمان على تقليد الأرباع الفاطمية بصقليّة وربما كان تبنّي هذا التّصميم بمثابة الإجراء الاحتياطي لجعل عملية التقليد تكون صعبة فتتمّ حماية إقتصاد الإمارة ومصالح رعاياها من الأضرار التي يمكن أن تلحق بها نتيجة ذلك التقليد. مُؤكّد لدينا أنّ هذا التقليد استفحل في النصف الثاني من القرن الخامس هجري وذلك اعتمادا على اثباتات النقود نفسها والتي اُطلِق عليها اسم **الطريّة** Tari وأيضا استنادا إلى شهادات بعض النصوص النوازلية التي أفتى فيها الإمام أبو عبد الله المازري عندما كان يُسأل عن الدنانير **المرابطية** و**الفاطمية** و**الطرابلسية** الجيّدة التي يحملها أصحابها إلى صقلية للتجارة فيُفرض عليهم إدخالها إلى دار الضرب هناك (ببلرم) فتُصهَر وتُخلَط بقدْر رُبْعِها فضة وتُضرب من جديد فيربح فيها الملك النورماني. هذه الواقعة المتكررة كانت تحدث وخصوصا بعد استرجاع النورمان للجزيرة. قبل ذلك كانت الظاهرة موجودة وربما تعود إلى بداية القرن الخامس هجري تزامنا مع بداية ظهور النورمان ومشروع الاسترداد بمباركة البابا آنذاك. تجدر الإشارة إلى أنّ الأرباع النورمانية والسوابية Suève وإلى حدود أواخر القرن 7 هـ/ 13 م لم تتضمّن أي قطعة مقلّدة عن هذا النمط في حين أنّ النمط



المعروف بالدوائر كان الأكثر تقليدا من قبل النورمان والأكثر انتشارا بعد انتهاء الحكم العربي في الجزيرة. لكن النجمة السداسية نجدها حاضرة في نقودهم دون أن تكون لنا أية فكرة عن رمزيتها لديهم.

إنّ ضرب أنصاف الدراهم أيضا التي تحمل نفس التصميم هو في حدّ ذاته دليل آخر قد يدعم هذا التفسير. فالظاهر أنّ الأمير الكلبي وربما الخليفة الفاطمي أو بقرار مشترك بينهما أرادا تحصين النظام النقدي في صقلية. هذه الفرضية تعترض أساسا بحقيقة أخرى تمثلت في عدم الاسترسال في صناعة هذا النمط منذ أن صُمّم أوّل مرة في عهد الحاكم بأمر الله. لقد انقطع ضربه بانتهاء عهد الخليفة وتولي ابنه الظاهر لإعزاز دين الله. والمعلوم أنّ هذا النمط لن يعود للظهور من جديد إلاّ بعد أكثر من عشرة سنين منذ تولّي المستنصر بالله الخلافة.

2 – تفسير فلكي

ليس لدينا أي دليل على أنّ للخليفة الفاطمي بمصر علاقة بتنفيذ هذا الشكل الزخرفي على الأرباع الذهبية بصقلية. فإن كان الخليفة هو الذي أصدر أوامره بتبني ذلك الشكل لماذا لم يُعمّمه على بقية دور الضرب التابعة للدولة الفاطمية ؟ فالأواني الخزفية مع أنّها صناعة غير رسمية لا تتدخل الدولة فيها سواء في افريقية أو في مصر فقد كان البعض منها يحمل تلك الزخرفة. وأمام ذلك فإنّه لا يمكننا الجزم بوجود تفسير رسمي لاعتماد تصميم النجمة السداسية يستهدف جزيرة صقلية بالذات. غير أنّه من الممكن أن نتوقّع رواج الأرباع الصقلية خارج الجزيرة ليشمل كامل المجال العربي الإسلامي وبالتالي فإنّ تصميمها قد يكون فعلا مصادق عليه ومبارك من قبل الخلافة الفاطمية بمصر حتى وإن لم يكن لدينا دليل على الجهة التي اقترحت ذلك الديكور. ولتعميم الفائدة يمكن التعرض ولو جزئيا إلى علاقة الخلفاء الفاطميين بالفلك والتنجيم وإلى جانب ذلك دور الجانب العقائدي لهم كشيعة في تبنّي النجمة السداسية ليس فقط في صقلية بل في كامل المجال الخاضع لدولتهم.




لقد عُرف عن الفاطميين ولعهم بالفلك والتنجيم وما يرتبط به من التنبّؤ الذي تُنسبُ بدايته إلى علي بن أبي طالب وأصبح سمة خاصّة بآل بيته من الشيعة على اختلاف مذاهبهم. يذكر القاضي النعمان في افتتاح الدعوة العديد من الاشارات



التي تُثبت ذلك عندما تحدّث عن ابتداء الأمر مع منصور اليمن[29]. يورد القاضي النعمان إشارة أخرى تفيد بأنّ الأغالبة أيضا كان لهم اطلاع على التنجيم مثلهم مثل بقيةّ العرب خصوصا وأنّ هذا الأمر قديم عرفته كل الشعوب القديمة بدون استثناء وهو ما تشير إليه قصّة النبي إبراهيم وبحثه عن إله بين الكواكب. كما أنّ العرب قبل الإسلام كانوا يعبدون الشمس والقمر وينسبون مواليدهم إليها (مثل عبد شمس)[30]. يذكر القاضي النعمان أن الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد أرسل إلى أبي عبد الله الشيعي ابن المعتصم المنجّم ليأتيه بأخباره. كما أورد معلومة أخرى ذكر فيها أنّ محمد ابن الأغلب وإبراهيم كانا ممن يقرؤون كتب الحدثان. ومن بين الأخبار التي نقلها النعمان أنّ إبراهيم طلب قدوم شيخ من قرية الخربتين في تونس معروف بعلم الحدثان وسأله عن المستقبل فقرأ له شعرا يبيّن انتصار الفاطميين في المغرب وأيضا يذكر بناء البيضاء (المهدية)[31] تلك المدينة التي ارتبط تأسيسها بالتنجيم مثلها مثل القاهرة التي حفّت بها بعض الأخبار من هذا القبيل أهمّها أنّ المعز بلغه قول بعض المنجمين بأنه سيموت فكان المقرّبون منه يخشون ذلك وينبّهونه وربما خافه المعز نفسه حتى رأى والده المنصور في رؤيا رآها كان يحثّه فيها على المضيّ في الأمر[32].



إنّ الأخبار المتعلقة بمثل هذا التنبّؤ ترد بكثرة عند القاضي النعمان بخصوص المهدية ومكان إنشائها[33] كما الشأن بالنسبة لسنة دخول رقادة والقيروان الذي يقال أنّه مُثبت في كتب الحدثان[34]. يذكر النعمان أيضا خبر وفاة إبراهيم بن محمد وهو محاصر لمدينة كُسنْته في شهر ذي القعدة من سنة 289 هـ ويخبرنا بأنّ النجوم تساقطت قبل وفاته بخمس ليال[35] وهو إشارة رمزية إلى العذاب

(29) القاضي النعمان، 2005، **افتتاح الدعوة**، مؤسسة الأعلمي للمنشورات، بيروت، ص. 15، 17-18.

(30) **القرآن**، سورة 41، آية 36 مثلا.

(31) القاضي النعمان، 1996، **افتتاح**، ص. 45-49، 199 ؛ القاضي النعمان، 1996، **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي، دار المنتظر، بيروت، ص. 542.

(32) القاضي النعمان، **المجالس والمسايرات**، ص. 508.

(33) القاضي النعمان، **افتتاح**، ص. 50.

(34) القاضي النعمان، **افتتاح**، ص. 150.

(35) القاضي النعمان، **افتتاح**، ص. 51.





ومنبئة بالمنيّة. يخبرنا القاضي النعمان أيضا أنّ الإمام كان يخبر المهدي (عبد الله) بأنّه سيهاجر هجرة بعيدة وسيلقى محنة شديدة[36]. كما أخبر النعمان وغيره من الكتّاب الشيعة أنّ ثورة أبي يزيد صاحب الحمار قد أعلمت بها كتب الحدثان وكان الخليفة القائم بأمر الله ينتظره ومتهيّئ لحربه[37].

يروي ابن تغري بردي نقلا عن ابن خلكان أنّ الخليفة العزيز بالله صعد المنبر يومًا فرأى ورقة قد كُتب فيها : « **بالظلم والجور قد رضينا وليس بالكفر والحماقه، إن كنت أُعطيت علم غيب فقل لنا كاتب البطاقه. قال : وذلك لأنهم ادعوا علم المغيبات والنجوم وأخبارهم في ذلك مشهورة**»[38]. وفي ذلك إشارة إلى ما اشتهر به الفاطميون في طلب التنجيم.

يُروى أنّ الخليفة الحاكم كان مولعا بالتنجيم. ويذكر المقريزي تاريخ ولادته مدقّقا تفاصيل الطالع بما يكشف جانبا هاما من الاعتناء بالتنجيم[39]. فالداعي عماد الدين إدريس يقول في عيون الأخبار واصفا الحاكم أنّه «**كان قاهر السلطان، ظاهر البيان، يُنبئ بالكائنات قبل كونها قد أطلعه الله من علم آبائه على الأنباء وباطن مكنونها**» ويُضيف نقلا عن الداعي حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرماني أنّ البشارة بالحاكم جاءت في التوراة في سفر إيشاعيا رامزا إليه ببيت المقدس وبالركوب على الحمار. وقد ربط الكرماني هذا التأويل لقول منسوب لإيشاعيا النبي بسلوك الحاكم بأمر الله وهو خليفة باتخاذه حمارا للركوب مع ما فيه من دلالة على الزهد[40]. كما يذكر أنّ من أفعاله ما يدلّ على تلك البشارة والأمارة



(36) القاضي النعمان، **افتتاح**، ص. 98. يحتوي كتاب افتتاح الدعوة على الكثير من هذه الأخبار مثل ما كان يُروى عن أنّ ابتداء دولة بين الأغلب بإبراهيم وتنتهي بإبراهيم ودولة بني أمية بمروان وانتهاءها بمروان وكذلك الشأن للأندلس تبدا وتنتهي بعبد الرحمان. راجع ص. 148.

(37) القاضي النعمان، **افتتاح**، ص. 201-202.

(38) ابن تغري بردي، 1992، **النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة**، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ج. 4، ص. 121.

(39) المقريزي، 1996، **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تحقيق محمد حلمي محمد أحد، القاهرة، ج. 3، ص. .

(40) الكرماني، 1987، **مجموعة رسائل الكرماني**، تحقيق مصطفى غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط. 2، ص. 120 ؛ الداعي عماد الدين إدريس، 1982، **عيون الأخبار وفنون الآثار، السبع السادس أخبار الدولة الفاطمية**، تحقيق وتقديم مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ص. 249-250.





الواردة في التوراة وتمثّلت أساسا في القرارات المتناقضة عادة والتي اتخذها لمقاومة بعض الظواهر الاجتماعية مثل شرب الخمر وخروج النساء وإضاءة شوارع وأسواق القاهرة وهي كلها إتخذ في شأنها قرارات ثمّ أبطلها كما دوّنته كتب الأخبار[41].

ويقول ابن تغري بردي نقلا عن ابن خلكان دوما أنّ الحاكم «**نهى عن النجوم وكان ينظر فيها ونفى المنجمين وكان يرصدها ويخدم زحل وطالعه المريخ ولهذا كان يسفك الدماء**»[42]، ثم يضيف «**أنّه كان ينظر في النجوم فنظر مولده وكان قد حكم عليه بالقطع في هذا الوقت فإن تجاوزه عاش نيفًا وثمانين سنة**». ويذكر أنّه قرأ النجوم ليلة وفاته وأخبر والدته أنّه ميّت لا محالة[43].

يذكر الداعي إدريس أنّ الحاكم كان «**يكثر التفرّد بنفسه والخروج إلى الفيافي والقفار فيقيم بها اليوم واليومين وأكثر من ذلك**»[44]. كما يذكر أنّ الحاكم أمر بن يونس الشامي المصري بإعداد زيج «**في الحساب وفي علم النجوم أصّل فيه الحاكم بأمر الله أصوله**». ثم يضيف أنّ «**علم النجوم فهو من العلوم النافعة لمن أراد النظر في الحساب والمواقيت والليل والنهار والتفكّر في عجائب خلق الله عزّ وجل والاعتبار**»[45]. ومن بين الاشارات الأكثر دلالة على ولع الحاكم بأمر الله بعلم التنجيم هو محاولة الداعي إدريس درء الشبهات ودفع الاتهامات الموجهة له ومن ذلك قوله «**ليس هو كل علم الأئمة ع. م. بل علمهم علم الآخرة وقدرة الله تعالى وما في شرائع الأنبياء وأسرار الحكماء وتوحيد الخالق جل وعلا لا كما يظن من الخلائق الأغمار أن علم النجوم هو كل علمهم ومنتهى فهمهم**»[46].



لقد ذكر القاضي عياض في المجالس والمسايرات أنّ المنصور بالله كان عالما بالنجامة وماهرا فيها لكن كان يستعملها حسب تبريراتهم في سبيل توحيد الله فقط كما حدّث بذلك المعز لدين الله[47]. في إشارة أخرى مهمة يتضح

(41) الداعي ادريس، ص. 253 حيث ذكر منها مسألة تحريم الخمر والعنب.

(42) ابن تغري بردي، **النجوم**، ص. 178.

(43) المقريزي، ج. 2، ص. 116.

(44) الداعي ادريس، ص. 252.

(45) الداعي ادريس، ص. 295.

(46) الداعي ادريس، ص. 296.

(47) القاضي النعمان، **المجالس والمسايرات**، ص. 131-132.





هذا الاهتمام بالتنجيم أكثر. فقد ذكر النعمان أنّ المعز رؤى أنّه رأى بطليموس صاحب المجسطي في منامه ونصحه أن يشرع في بناء قصر البحر في المنصورية يوم الثلاثاء عوض يوم آخر كان اختاره لأنّه يوم مبارك، فأحضر المنجّمين وأختبر الرؤيا فعلم صحّتها بتأييد منهم. لكن رغم ذلك فإنّ المعز دائما ما يتنصّل ويتبرّأ من التهم والشبهات المتعلقة بالتنجيم(48). فقد كان المعز لدين الله ينهى عن اتخاذ التنجيم لمعرفة الغيب بل يحض على استعماله في سبيل الله على ما يروي القاضي النعمان(49) مع الإشارة إلى أنّ كلّ الخلفاء الفاطميين كان لهم كما ذكرنا اطلاع ومعرفة واهتمام بالتنجيم مثل المنصور بالله كما روى عنه ذلك ابنه المعز وكان المنجمون يتقربون منهم ويقدّمون لهم ما ألّفوه في ذلك(50). يذكر النعمان أنّ أحد المنجمين وفد على المعز من المغرب فأكرمه وأحسن وفادته لكنّه غادر القصر لأنّه اعتقد أنّ المعز مولود في يوم نحس وقد علم المعز بذلك وكان قرّر أن يعطيه صرة فيها مائتي دينار ويقول المعز أنّه اختبر الرقعة بالتنجيم ليعلم وقت رفعها إليه : «**نظرت إلى وقت رفعه (العطاء) فرأيته وقت سعد فقلت لا أظنه إلاّ وقد تحرّى لرقعته هذا السّعد ولكنّ والله أبطلتُ ذلك عنده**»(51). وفي ذلك دليل واضح على اعتماد الفاطميين على التنجيم رغم محاولة اخفاء ذلك. ويقرّ الداعي إدريس أنّ الأئمّة قد أُمروا بأخذ هذا العلم لمعرفة حساب الأيام والسنين والأوقات. ورغم محاولة الدعاة مثل القاضي النعمان والداعي إدريس دحْض الاتّهامات الموجّهة إليهم فإنّ اهتمامهم بالتّنجيم لقراءة الغيب والتنبّؤ أمر ثابت تؤكّده الأحداث والأخبار المتناقَلة في متون المصادر الشيعية نفسها. وهاهو المعز لدين الله في واحدة من أدعية الأيام السبعة يقول: «**واطلق اللهم لنا عنان الأملاك واعضدنا بسعادة الأفلاك**»(52). هذا وتتكرر تلك الإشارات في مختلف الكتب الشيعية(53).



(48) القاضي النعمان، **المجالس والمسايرات**، ص. 325-327.

(49) القاضي النعمان، **المجالس والمسايرات**، ص. 439 ؛ الداعي ادريس، ص. 296-297.

(50) القاضي النعمان، **المجالس والمسايرات**، ص. 439-440 ؛ الداعي ادريس، ص. 296-297.

(51) القاضي النعمان، **المجالس والمسايرات**، ص. 431-432.

(52) المعز لدين الله، 2006، **أدعية الأيام السبعة**، تحقيق اسماعيل قربان حسين يوناوالا، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص. 16.

(53) مثل رسالة «مبتدأ العوالم ومبدأ دور الستر والتقية» للداعي الشيخ حسن العدل، ضمن **كتاب أربع كتب حقانية**، تحقيق مصطفى غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط. 2، 1987، ص. 124 وما بعدها ؛ اليماني، 1971، **الذخيرة في الحقيقة**،





يذكر النيسابوري في **إثبات الإمامة** ما يؤكّد اعتناء الخلفاء الفاطميين بالفلك والتنجيم فيقول: «**كما أنّ الجسم لم يظهر ولم يتمّ إلاّ بالأفلاك كما أنّ العلوم تتأثر بالكواكب، كذلك ظهور الصور الدينية والعلميّة والأنفس الباقية إنما تظهر وتتمّ بتأثير الأئمّة سلام الله عليهم، ومن علومهم يكون غذاؤها وهم النجوم الدينيّة كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**»[54]. ويذكر ذلك مرة أخرى لتشبيه الأئمة بالكواكب والأفلاك ويضيف: «**إذا كانت هذه الأجناس والأنواع تدل على الإمامة والأئمة على ترتيب آخر من جهة الأسابيع، مثلا أن تشهد الكواكب السبعة على الأئمة وغير ذلك من الأسابيع.**»[55]. كما يذكر أنّ «**الأفلاك أجلّها وأعلاها فلك الأفلاك والجميع يدورون فيه فكذلك الامام هو في عالم الدين فلك الأفلاك وجميع الكواكب والبروج الدينية تحته يعملون**». ويضيف: «**إنّ الكواكب كثيرة التفاوت فيها والتفاضل وغاياتها وذروتها في الشرف والفضل وهي الشمس وبها تستضيء الأبصار الجسدانية وبها ينمو ويتم كل حيوان ونبات ومواليد. وكل نبات ومواليد إذا لم يصل إليها تأثير الشمس لا تنمو، وكذلك الإمام فهو شمس الدين منه تستضيء البصائر وتستضيء النفوس بنور الهداية والحكمة وتضيء قلوب الأولياء. ومن هذه الجهة أشاروا إلى تعظيم الشمس ووقعوا في الشبهة لأنهم عرفوا المثل ولم يعرفوا الممثول، وإنّ النبي ص أشار إلى طلوع الشمس من الغرب والقصد هو خروج الإمام سلام الله عليه من المغرب**»[56].




لقد أوضح الكرماني في إحدى رسائله أنّ عالم الأفلاك جزء من بين ثلاثة أجزاء مكوّنة للعالم وهو جزء لا تدخله زيادة ولا نقصان[57]. ويقول في كتاب آخر أنّ النجوم إمّا أن تُسعد صاحبها أو أن تنحسه نظرا لعلاقة الأفلاك بالزمان ويعتبر أنّ الإمام الحاكم بأمر الله هو من الأئمة المسعودين وإن لم يكن إماما سابعا لكن له تأييد من الله وممّا «**يخدمه بإذن الله تعالى من الفلك بأجرامه والزمان بشهوره وأعوامه**»[58]. فكان الحاكم بالله ثاني الأسبوع الثالث وله براهين عديدة على

تحقيق محمد حسن الأعظمي، دار الثقافة، بيروت، ص. 40 وما بعدها.

(54) النيسابوري، 1996، **اثبات الإمامة**، دار الأندلس، بيروت، ص. 30.

(55) النيسابوري، **اثبات الإمامة**، ص. 33.

(56) النيسابوري، **اثبات الإمامة**، ص. 35.

(57) الكرماني، **مجموعة رسائل**، ص. 183.

(58) الكرماني، **مجموعة رسائل**، ص. 119.



حسن إمامته بحث عنها الكرماني خاصة وأنّه تأوّل حديثا منسوبا للرسول يجعل به من الحاكم المقصود بليلة الثالث والعشرين من رمضان[59]. هذا ويذكر نفس الداعي أنّ اقتران الأجرام السماوية وسيرها يكون في مثلثات وهو ما يتأكّد في النص التالي : «**وما توجبه من انتقال الدول بانتقال قراناتها من مثلّثة إلى مثلّثة، وكوننا في قران يوجب انتهاؤه انتهاء دول المخالفين بانتقال القران من ركن إلى ركن**»[60] وهو إشارة معبّرة عن الاعتناء الكبير بالتنجيم وقراءة الطالع وربطها بمصير الأئمّة وتعاقبهم وجعلها مدخلا للدفاع عنهم أمام المشكّكين. وفي ذكر المثلثات إشارة واضحة إلى النجمة السداسية التي تتكون بالتقاء وتقاطع مثلثيْن.

يذكر المقريزي أنّ الحاكم بأمر الله كان «**يتشبّه بالمأمون ويقصد مقاصده واشتغل بعلوم الأوائل واعتدّ بعلوم النجوم وعمل له مرصدا ووقف الكواكب واتخذ بيتا بالمقطّم ينقطع فيه عن الناس ويخلو لمخاطبة الكواكب**»[61]. ويقال أنّه كان يدّي حصوله على كتاب الجفر لجعفر بن محمد الصادق[62].



ويبقى كتاب الزيج الحاكمي هو أقوى الأدلة على هذا الاهتمام. يذكر بن يونس أنّ الخليفة الحاكم بأمر الله أمره «**بتجديد رصد الكواكب السريعة وبعض البطيّة**»[63]. ويذكر بن يونس أنّ المأمون العباسي كان مهتما أيضا بالأزياج[64] وهو ما ذُكره أيضا بالنسبة لزمن العزيز بالله الذي كان يريد مماراة المأمون أيضا وهو دليل على أنّ الشغف بالتنجيم ليس جديدا بل كان يتباهى الملوك فيه وبالخصوص الخلفاء الفاطميون. لقد تحدث صاعد الأندلسي عن اهتمام المأمون برصد الكواكب والنجوم بعد أن تُرجم كتاب المجسطي فأمر بإقامة مرصديْن واحد في بغداد وآخر في دمشق وقُيّد ت الأرصاد في كتاب سُمّي بالرصد المأموني[65]. ففي النجوم الزاهرة يذكر ابن تغري بردي أنّه في سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة أمر شرف الدولة البويهي «**بأن ترصد الكواكب السبعة في مسيرها وتنقلها في بروجها**

(59) الكرماني، **مجموعة رسائل**، ص. 123.
(60) الكرماني، **مجموعة رسائل**، ص. 127.
(61) المقريزي، **اتعاظ**، ج. 2، ص. 117.
(62) المقريزي، **اتعاظ**، ج. 2، ص. 118.
(63) بن يونس، 1804، **كتاب الزيج الكبير الحاكمي (مترجم إلى الفرنسية)**، باريس، ص. 60.
(64) بن يونس، **كتاب الزيج**، ص. 147.
(65) خليفة (حاجي)، **كشف الظنون**، ج. 1، ص. 905.





على مثال ما كان المأمون يفعل وتولى ذلك ابن رستم الكوهي وكان له علم بالهيئة والهندسة وبنى بيتًا في دار المملكة بسبب ذلك في آخر البستان وأقام الرصد لليلتين بقيتا من صفر»(66). ولهذه المعلومة أهمية كبرى في تفسير نفس الديكور على لوح يعود لعهد المأمون على الأرجح ويتضمّن نفس تصميم أرباع المستنصر بالله التي تحتوي على سبعة كريّات. ويؤرّخ اللوح ببداية القرن 3 هـ/ 9 م وعُثر عليه في تكريت بالعراق وهو محفوظ في متحف ميتروبوليتان بنيويورك لكن حُدّد على أنّه طلسم. غير أنّ الواقع هو عكس ذلك فهو يثبت اهتمام العباسيين بالفلك وهذا اللوح يتضمّن سبع كريّات مع النجمة السداسية المتكوّنة من تقاطع مثلّثين متقايسي الأضلاع.



وثيقة 17 : لوح يحتوي على النجمة السداسية والسبعة كواكب، القرن 3 هـ/ 9 م



يذكر علي بن الوليد تفسيرا طبيعيا مزدوجا دنيويا ودينيا للتأثيرات الحاصلة جرّاء حركة الكوكاب ونشأة البروج وما يترتب عن ذلك من نحس وسعادة ومواليد. يقول في كتاب الذخيرة أنّ «**مصير كل شيء منها في تلك الوهلة الأولى مفعولا والأوتاد تمسكها وتجذبها على قدر معتدل مستقيم بما صعد من مزاجها وممتزجها مع رجوع الأشعة وصار أصدافا وأجراما المُكنّى عنه بالنسيم. وقد ضرب ابراهيم الخليل صلوات الله عليه المثل في ذلك بسراج الحديد في بيت المقدس وأنّه لا يمسكه إلا أحجار المغناطيس التي في جهاته الست لكل موحد**

(66) ابن تغري بردي، **النجوم**، ص. 156.





مقدس»[67]. في هذا النص يبيّن لنا علي بن الوليد أن الأوتاد ستّة تعكس لنا الجهات والحركات ويمثلها بالسراج الذي تمسكه الأحجار في جهاته الستّة وهي بالتالي صورة للنجمة السداسية التي يكون وسطها مضيئا. لقد استفاد فلاسفة اخوان الصفاء كثيرا من هذا الموروث واعتبروا أنّ للكواكب تأثيرات على الناس[68] وقد قدّموا في رسائلهم أفكارا مبوبّة حول ذلك أرادوا أن يجعلوا لها تبريرات فلسفية وعقلية مما يدلّ على ترسُّخ الاعتناء بهذا النّوع من العلوم القديمة. وفي هذا الإطار يذكر اخوان الصفاء أن اقتران الكواكب يدلّ على تغيرات في الملك منها توارث كراسي الملك.

فإن اعتقدنا في صحّة اهتمام الفاطميين بالتنجيم وبالفلك وهو أمر ثابت لا محالة فبالإمكان أن تعكس لنا أرباع الدنانير الصقليّة هذا الاهتمام وهذا التوجّه وربما يكون ضرب الأنماط المبيّنة سابقا مرتبط بمناسبات فلكية خصوصا تلك المتعلّقة بالاعتقاد الراسخ لدى الفاطميين ودعاتهم بمركزيّة كوكب الشمس لا كما ساد الاعتقاد لدى الحضارات القديمة السامية على اختلافها والاغريقية في أنّ الأرض تحتلُّ مركز الكون. وفي عهد الخليفة الحاكم بأمر الله ضرب هذا النمط بكريّة واحدة في وسطه وقد يكون ذلك إشارة للشمس التي أسهب الدعاة في ذكر مزاياها وإشعاعها على بقية الكواكب والأجسام الطبيعية. ولا ننسى أنّ الحاكم بأمر الله كان أكثر الخلفاء ولعا بهذا العلم وحركة الكواكب والنجوم. أمّا في عهد الخليفة المستنصر بالله فقد لاحظنا وجود أرباع ذوات ثلاثة وأربع وسبع كريّات وأكثر قد تعكس لنا مناسبات الاقتران بين بعض الكواكب خصوصا تلك المتعلقة بثلاثة وأربع كريات. أمّا السبع كريات فقد تكون إحالة على الكواكب السبعة السيّارة[69] والتي تدور في مسارات شبه كروية عموما مع العلم أنّه لا تخلو من ذكرها كتب الدعاة الشيعة الإسماعيلية منذ القاضي النعمان.



لقد استعملت جلّ الحضارات القديمة النجمة السداسية في عمائرها وفي لوحاتها الفنية كما في بلاد الرافدين ومصر القديمتين وفي الفسيفساء الرومانية وفي المعابد اليهودية وكان الكثير منها مُحاطا بكريّات سبعة كما في فسيفساء

(67) علي بن الوليد، **الذخيرة**، ص. 50.

(68) اخوان الصفاء، (د. ت.) **رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء**، ج. 2، **الجسمانيات والطبيعيات**، دار صادر، بيروت، ص. 135-137.

(69) وهي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر.





رومانية بمتحف باردو. وقد كانت ترمز لدى المصريين وشعوب بلاد الرافدين والفينيقيين إلى الكواكب. فالصابئة هم عبدة الكواكب ويتبركون بها وأقام الفينيقيون لها أصناما وعبدوها. وسمى العرب أبناءهم بأسماء الكواكب. هذا ونشير إلى أن المسيحيين أيضا وإضافة إلى اليهود استعملوا النجمة المحاطة بكريات أو بأشكال أخرى عددها ستّة. ومن المرجّح أن يكون الشيعة الفاطميون قد تأثروا بهذا الشكل الزخرفي وأرادوا أن يكون لهم نصيب فيه فيتبنونه ويدخلونه في سياق فكرهم خصوصا في المناطق التي كانت تشهد احتكاكا متواصلا بين المسلمين والمسيحيين واليهود كما الشأن في صقليّة.

وفي هذا الإطار تقف بعض النقود المنسوبة إلى النورمان وتحديدا إلى روجي الأول وهي من الخراريب لتؤكّد لنا أهميّة النجمة السداسية عند شعوب صقلية مهما اختلفت الديانة. ففي هذه الخراريب نُقشت النجمة السداسية تتوسّطها كريّة تذكرنا بالنجمة على الأرباع دون أن يتم تقليد النصوص المصاحبة لها.





وثيقة 18 : خروبة نرمانية ؟[70]

إنّ المعلومة التي وردت في بعض وثائق الجنيزة والتي تطلق اسم «**المشمّسة**» على دراهم فاطميّة هي معلومة أساسية لفهم هذه الفرضية. لقد التقى اهتمام الفاطميين بالفلك وبالنجوم مع ضرب هذه الأرباع الصقلية والاسم الذي من الأكيد أنّه اطلق عليها هي بالذات لأنّ شكل الزخرفة المنقوشة عليها توحي للرائي والمتعامل بها بأنّها تمثّل الشمس وأشعّتها باعتبار تلك الأوتار المتناظرة والمتقاطعة داخل الدائرة الخطيّة الأولى والبارزة خارجها.

(70) https://www.sixbid.com/browse.html?auction=1903&category=39653&lot=1659778





إنّ ما ذكره علي بن الوليد حول مصباح النبي إبراهيم في بيت المقدس المصنوع من الحديد والذي له ستّة جهات وتشدّها الأحجار المغناطيسية يصف بدقّة التصميم الزخرفي لأرباع صقليّة باسم الخليفة المستنصر الذي توجد فيه ستّة كريات محيطة بِكريّة مركزيّة إضافة إلى الأوتار المتوازية والمتناظرة.

3 – تفسير مذهبي عقدي

لا تخلو كتب الخلفاء الفاطميين وسجلاتهم وكتب دعاتهم وفلاسفتهم من الاستدلال على الإمامة واثباتها ببراهين فلسفية قد يعسر فهمها على عامة المتلقّين لكنها كلها ركّزت على ما يُسمّى ب»الأسبوع» أي الدورة التي يتتالى فيها الحدود (الأئمّة) قبل القائم. إنّ الفكر الإسماعيلي يقوم على تبرير تواصل توارث الإمامة قبل مجيء القائم السابع الأخير وهو ما جعل من رقم سبعة مثل أرقام واحد وثلاثة وأربعة وستّة مقدّسا وهو ما أشار إليه الكرماني في إحدى رسائلة المعنونة بالبشارات[71].





فالواحد هو رمز للإمام القائم، والثلاثة ترمز للحدود الثلاثة التي تسبق قائم القيامة[72]. والرابع أيضا هو مثل السابع في القيمة كما أشارت إلى ذلك الكتب الاسماعيلية مثل الذي ذكره علي بن الوليد : «**وهكذا في وقت كل سابع ورابع**»[73]. أمّا السابع فهو آخر أئمّة الدور الذي يعدّ سبعة أئمة مثل الأسبوع وقد يكون إمام القيامة أو أوّل الأسبوع الموالي. فمثل الكواكب السبعة التي يسميها المعز لدين الله بالنجوم أيضا[74]، ومثل الأيام السبعة يكون الأئمّة[75]. فالمعز لدين الله كان آخر الأسبوع الثاني في حين أنّ المستنصر كان رابع الأسبوع الثالث ولذلك نجد تبريرا قويّا في الكتب التي ألّفعا الدعاة في وقته مفاده أنّ المستنصر الإمام الرابع له نفس قيمة الإمام السابع. ويقول المعز لدين الله في أدعيته أنّ

(71) الكرماني، **مجموع رسائل**، ص. 121-122.

(72) علي بن الوليد، **الذخيرة**، ص. 91.

(73) علي بن الوليد، **الذخيرة**، ص. 115.

(74) المعز لدين الله، **الأدعية**، ص. 69.

(75) كل كتب الشيعة الإسماعيلية لا تخلو من ذكر ذلك. انظر مثلا المعز لدين الله، **الأدعية**، ص. 25.



أئمّة الدور ستّة حدود و«**السابع يعود كهو**»(76). كما يعتبر كلّ إمام نجما بالاستناد إلى حديث منسوب للرسول محمد يقول فيه «**أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم**». وكان علي بن أبي طالب يُلقّب بالنجم الثاقب كما ورد في المجالس المستنصرية(77). ويشبّه علي بن الوليد الحدود والأئمة بالأفلاك المحيطة بعضها ببعض(78). كما يشبّه الإمام بالشمس التي هي قلب عالم الأجرام(79). وهنا تعود إلينا صورة الأرباع الحاكمية التي تحمل كريّة واحدة في الوسط والتي قد تكون تعبّر عن إمام الزمان (الحاكم بأمر الله) والشبيه في الأدبيات الإسماعيلية لوقته بالشمس. هذه الشمس التي يقول علي بن الوليد أنّها توجد ضمن «**الصور السلمانية التي رمزت الحكماء بها تكون عند الشمس مجتمعة ذات عدّة جمّة متّشعة والشمس الحقيقية السلمانية هي صورة الباب التي تأوي إليها الصور الدينية والشمس الطبيعية**»(80) وهو بذلك يؤكّد لنا حقيقة رسم النجمة السداسية المنسوبة إلى سليمان النبي لترمز إلى الشمس وبالتالي تصبح رمزا للإمام الفاطمي(81). يذكر الكرماني ما يفيد ذلك أيضا ويجعل من الإمام بمثابة الشمس الساطع شعاعها. ويضرب مثلا عن الأنفس الموقنة بالله وبالأولياء الدراهم «**الجيدة العيار المضروبة بالسكة المنقوشة باسم الله وباسم رسوله واسم أوليائه فكان موضوعها ذات النفس ونقشه صورة التوحيد وطاعة أرباب التأييد فلا يُشكّ في كونه مقبولا عند أصحابه مقرّبا من اسبابه عزيزا على أربابه وتعسا لنفس تعتقد غير توحيد الله تعالى والإيمان برسوله والأئمة...**»(82). إنّ الحديث عن الدراهم الموحّدة أي التي تتضمّن أسماء الأئمّة لا يمكن أن يكون عفويّا بل يعكس توجّها



(76) المعز لدين الله، **الأدعية**، ص. 14.

(77) الداعي علم الإسلام، 2006، **المجالس المستنصرية**، مؤسسة النور للمطبوعات، ط. 1، بيروت، ص. 28.

(78) علي بن الوليد، **الذخيرة**، ص. 73-74.

(79) علي بن الوليد، **الذخيرة**، ص. 82-83.

(80) علي بن الوليد، **الذخيرة**، ص. 84.

(81) في قصيدة للشاعر فهد بن فريك الصقور اليامي الإسماعيلي المذهب بيت يقول فيه :

وهي نجمه سداسيه عطوني علمها وأحصيت ****** رموز الكون في علم الفلك ماقبل الإنسيه

يفسّر فيه أنّ النجمة السداسية ترمز إلى الكون في علم الفلك. وهذا طبعا يعكس تواتر الموروث الشفوي والمكتوب بين العرب في فهم رمزية النجمة.

(82) الكرماني، **مجموع رسائل**، ص. 132.





معيّنا لدى الفاطميين في ابداع وابتكار أنماط مختلفة ومبهرة من النقود. وربما يكون ضرب الأرباع المميّزة بصقلية يتنزّل ضمن هذا المنهج خصوصا في منطقة منفصلة عن مجال النفوذ الفاطمي والفكر الاسماعيلي ولكنها قريبة من تأثيرات مسيحية نورمانية مثلا.

إنّ عدد الكريّات في أنماط الأرباع الفاطمية المضروبة بصقلية يصبح لها ما يبررها بالاستناد إلى الفكر الإسماعيلي. فالكريّة الواحدة قد تكون رمزا لإمام الزمان المشبّه دوما بالشمس، في حين تكون قد ترمز الثلاثة إلى عدد الأئمة السابقين لظهور الإمام الرابع مثلما قد تكون الكريّات السبعة رامزة للدّوْر الذي فيه سبعة أئمة. قد يلخّص ذلك الفكر الشيعي الفاطمي عموما والذي يرى أنّ الأمام السابع يكون كالشمس تحيط به الحدود الستّة كما تحيط الكواكب بالشمس[83]. هذا ويؤكّد اخوان الصفاء مثل غيرهم من الاسماعيليين أنّ الشمس هي مركز الكون والكواكب[84]. كما أنّ السبعة كريّات أو السبع قطائع في النجمة السداسية قد ترمز إلى الأيام السبعة عملا بما ورد في القرآن من أنّ الله خلق السموات والأرض في ستّة أيام ثم استوى على العرش في اليوم السابع. وهو ما اعتنى به الأئمّة والدعاة الإسماعيليون مثل النعمان[85].



إنّ السؤال الذي يُطرح بشدّة هو بماذا نفسّر ضرب هذا النمط من الأرباع في صقليّة باسم الخليفتين الحاكم بأمر الله والمستنصر بالله فقط دون سواهما؟ الإجابة التي قرّرها الكرماني مثلا ونجد صداها في مختلف الكتب الإسماعيلية هو أنّ المعز لدين الله يُعتبر سابع أسبوعين أي رقمه 14 أمّا الحاكم فهو ثاني الأسبوع الثالث ورقمه 16 في حين يكون المستنصر رقم 18. وهي أرقام أثبتها وبيّن مزاياها الكرماني باعتبارها تشير إلى أيام عظيمة الشأن مرتبطة ببعض الأئمة يحدثون تغييرات مهمّة مقدّرة مسبقا وهو ما يحيلنا إلى تسمية أئمّة الدّور بالأيّام. ومن بين هذه الأيام المرقّمة المحيلة على الأئمة بأرقام يذكر الكرماني السادس عسر والثامن عشر والحادي والعشرين. ومن خلال عرضه لإشارات إمامة الحاكم بأمر الله نعلم أنّ الإمام الثامن عشر هو المستنصر بالله لذلك لم تقع الإشارة إلى

(83) الكرماني، **راحة العقل**، ص. 159 ؛ علي بن الوليد، **الذخيرة**، ص. 122.
(84) اخوان الصفاء، **رسائل**، ص. 30.
(85) القاضي النعمان،





الإمام الظاهر لإعزاز دين الله الذي يأتي بين الحاكم والمستنصر[86]. ولو تتبّعنا ابتكارات الخلفاء الفاطميين في نقودهم لميّزنا أساسا نمط سكّة المعز لدين الله المتكوّنة من دوائرة متوازية في جوف بعضها البعض ثمّ نمط سكّة كلّ من الحاكم بأمر الله والمستنصر بالله المضروبة في صقليّة.

إنّ الاعتقاد بأنّ القائم هو سابع إمام يُتمّ دور النطقاء الستّة السابقين يجعل من تصميم النجمة السداسية داخل الدائرة الخطيّة أكثر تصميم معبّر عن هذا الفكر خصوصا وأنّ رقم سبعة متوفّر فيه دون اعتبار الكريّات. يذكر الداعي محمد بن سعد بن داود في الرسالة الكافية أنّ الأتمّاء الستّة والسابع التمام هم السبع المثاني التي خصّ الله بها نبيّه محمد وأنّ السابع هو الناطق عنها[87]. ويضيف أنّ كل إمام سابع هو قائم عصره ودهره[88]. وبعيدا عن الفاطميين لكن لدى فرقة شيعية أخرى وهي الإثنا عشرية توجد بعض الآثار التي تحمل نجمة سداسية مرفقة بأسماء الأئمّة الشيعة الإثنا عشرة. ففي أحد الأختام المحفوظة بمتحف بلرم ونشرته **ماريا أماليا دي لوكا** Amalia Maria De Luca نُقشت فيه أسماء الإثنا عشر إماما مرفقة بنجمتين سداسيتين واحدة في الأعلى وأخرى في الأسفل[89]. وليس من الغريب أن يربط الشيعة الفاطميون فكرهم واعتقادهم بهذه النجمة أيضا، خصوصا وأنّ النجمة تشير إلى آل البيت استنادا إلى الفكر الشيعي عموما الذي يُولي دوما أهميّة كبرى للآيات القرآنية التي أقسم فيها الله بالنجوم وذكر فيها الكواكب وحركاتها، وأيضا إلى أحاديث منسوبة للرسول يؤكّد فيها أنّ أهل بيته نجوم. ومن هذا المنطلق لا يزال هذا التفكير ساريا إلى اليوم في التراث الشيعي فيُرمز بواسطة النجمة السداسية إلى ذلك مع اعتبار أن الإمام المهدي هو الذي يتوسّط النجمة مُحاطا بأشعة الشمس. هذا وتُزيذن النجمة السداسية مراقد الأئمة في العراق اليوم شبيها بما يوجد على صندوق منسوب لفاطمة الزهراء موجود بمتحف الإمام الحسين بالعراق.




(86) الكرماني، **مجموع رسائل**، ص. 124 ويكرّر ذلك في ص. 143 في رسالة أخرى.
(87) خمس رسائل اسماعيلية، ص. 92.
(88) خمس رسائل اسماعيلية، ص. 107.
(89) De Luca (M.-A.), 2013, « La collezione di gemme islamiche del Museo Archeologico di Palermo », *Revue Tunisienne d’Archéologie*, n° 1, Tunis, p. 136.



4- تفسير طلسمي سحري

إضافة إلى التفسيرين السابقين قد يكون للتصميم محلّ الدرس تفسير آخر يتعلّق بالسحر والطلاسم. فالنجمة السداسية عُرفت لدى الشيعة بخاتم سليمان وبنجمة داوود خاصة في كتب الاثنا عشرية. يروى عن الإمام الرضا أنّ المهدي صاحب الأمر يظهر ومن علاماته عصا موسى وخاتم سليمان(90). كما أنّ هذه النجمة ربما هي المشار إليها عند علي بن الوليد ب«الصور السلمانية» وب«الشمس الحقيقية السلمانية»(91).

ويروي المقريزي إهتمام الخلفاء الفاطميين بالتنجيم والطلسمات السحرية ويذكر أنه إطّلع على كتاب قديم بعنوان «**وصية الإمام العزيز بالله لولده الإمام الحاكم بأمر الله**» يُذكر فيه الطلسمات المختلفة التي رُصدت على أبواب القصر الفاطمي «**ومن جملتها : إن أول البروج: الحمل، وهو بيت المريخ وشرف الشمس، وله القوة على جميع سلطان الفلك، لأنه صاحب السيف، واسفهسلارية العسكر بين يدي الشمس الملك، وله الأمر والحرب والسلطان والقوة، والمستولي لقوة روحانيته على مدينتنا، وقد أقمنا طلسماً لساعته ويومه لقهر الأعداء، وذل المنافقين في مكان أحكمناه على إشرافه عليه، والحصن الجامع لقصر مجاور الأول باب بنيناه، هذا نص ما رأيته، انتهى فإن القوم كانت لهم معارف كثيرة، وعنايتهم بهذا الفن وافرة كبيرة، والله أعلم، وموضع باب البحر هذا اليوم يعرف : بباب قصر بشتاك، قبالة المدرسة الكاملية**»(92).




يحتفظ متحف الفن الإسلامي برقادة بجرّة عُثر عليها بمدينة رقادة الأثرية تتضمّن طلسما متكوّنا من نصوص قرآنية والنجمة السداسية التي تتخلّلها كريّة في وسطها على شاكلة النجمة السداسية في أرباع الدنانير الصقليّة. والأكيد أنّ هذه الجرة وبالاستناد إلى نتائج البحث التي أجراها عليها الأستاذ لطفي عبد الجواد هي معدّة لغرض سحري طلسمي وأرّخها بالفترة الممتدّة بين 263-308 هـ أي بين تاريخ انتقال الأمير الأغلبي إليها وانتقال الخليفة عبد الله المهدي بالله منها

(90) القمّي، 1991، **كمال الدين وتمام النعمة**، تصحيح وتقديم الشيخ حسن الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط. 1، بيروت.

(91) علي الوليد، **الذخيرة**، ص. 84.

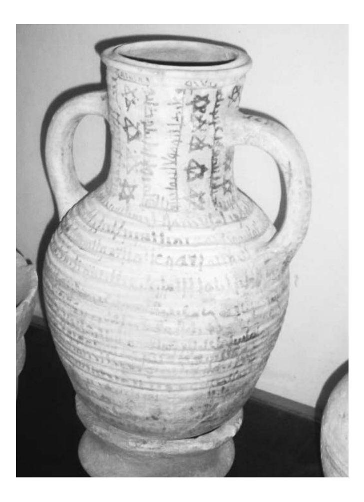
(92) المقريزي، 1997، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة،ج. 2، ص. 219-220.





إلى المهدية[93] مع العلم أنّ قصور رقادة لم تزل يستعملها الخلفاء الفاطميون ثم الأمراء الزيريون حتى القرن الخامس هجري وبالتالي فإنّ تأريخها يتطلب مزيدا من التثبّت. فالنجمة السداسية التي عادة ما يشبّهها الشيعة بدرع داود ويسمّونها أيضا خاتم سليمان كانت تُستعمل في هذا الغرض كما يورده الطبرسي في مكارم الأخلاق عندما تعلّق الأمر ببعض الأمراض التي تحلّ ببعض الأئمة الشيعة مثل الرضا[94]. ولذلك فإنّ هذه الجرّة قد تكون أيضا تابعة للفاطميين الشيعة في أول استقرار لهم بمدينة رقادة فهي تعكس ذلك الاعتقاد الراسخ لدى الشيعة في بركة خاتم سليمان أو درع داود. وهو ما ذهب فيه زميلنا لطفي عبد الجواد[95].







وثيقة 19 : جرة محفوظة بمتحف الفن الإسلامي برقادة

إنّ وجود نقاط تحيط بزوايا النجمية المرسومة على الجرّة يحيلنا على التصميم المنفّذ على الأرباع الصقلية مما يجعل التشابه بينها جدير بالاهتمام ومحاولة القراءة والتفسير.

---

(93) عبد الجواد (لطفي)، 2015، «كتابات تعويذية قرآنية وطلسمية على جرة من موقع مدينة رقادة الأثري»، **ضمن أعمال الندوة العلمية الدولية الرابعة الجبل والسهل في حوض المتوسط**، نصوص جمعها وأعدها للنشر جعفر بن نصر والنوري بوخشيم، تونس، ص. 187-201.

(94) الطبرسي، 1999، **مكارم الأخلاق**، دار البلاغة، بيروت، ط. 5، ص. 424.

(95) راجع **مقاله المذكور** ص. 195-196.



الخلاصة

إنّ تصميم الأرباع الصقلية المضروبة بإسميْ الخليفتين الفاطمييْن الحاكم بأمر الله والمستنصر بالله على ما فيه من إبداع وجمالية غير مسبوقة تشدّ الناظر إليها، فإنّ محاولة التفكير في معانيه والقصد من وضعه والبحث عن تفسيرات قريبة من الواقع التاريخي والمنطق لا تزال تحيّر الباحثين. وفي هذا السياق قدّمنا بعض التفسيرات الممكنة لهذا التصميم والنجمة السداسية التي يتضمّنها وذلك دون أن نكون بأي شكل من الأشكال جازمين في اعتماد إحداها. إذ ليس لدينا دليل قطعي واحد على العلاقة بين التنجيم أو السحر أو المذهب العقدي للفاطميين بزخرفة تلك الأرباع التي لم تُضرب إلاّ في صقلية. والجدير بالذكر هنا هو احتواء تلك النقود على أسماء وألقاب الخليفتين الفاطميين الحاكم بأمر الله والمستنصر بالله مما يعني أنّ لهما علم بهذا النمط والزخرفة المخصّصة له وبالتالي موافقتهما على ضربه وترويجه لا في صقلية فقط بل في كامل أرجاء العالم الإسلامي. وعملية  الترويج والرواج هذه ستكون كفيلة بنشر تلك الزخرفة والغريب والمثير للدهشة والتعجّب في آن واحد. إنّ الهدف المنشود من وراء ذلك التصميم هو أمر حاصل  في النهاية سواء كان الخليفة الفاطمي هو من يقف وراء اختياره أو أمير صقلية أو ناظر دار ضربها. وفي كل الحالات لا يخلو هذا التصميم من إبداع واضح قد لا يتعدّى الجانب الزخرفي الفني إلاّ أنّه ومنذ عهد الخليفة المعز لدين الله تعودّنا أن يكون الجانب الابداعي والفني ملتحم بالإيحاءات المذهبية والفلكية من خلال ذلك التصميم المعتمد على الدوائر.



المصادر والمراجع

المصادر

- القرآن.
- ابن تغري بردي، 1992، **النجوم الزاهرة في أخبرا مصر والقاهرة**، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ج. 4.
- ابن جبير، 1980، **الرحلة**، دار صادر، بيروت.
- ابن حوقل، 1992، **صورة الأرض**، بيروت.
- ابن يونس، 1804، **كتاب الزيج الكبير الحاكمي (مترجم إلى الفرنسية)**، باريس.
- اخوان الصفاء، (د. ت.) **رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء**، ج. 2، الجسمانيات والطبيعيات، دار صادر، بيروت.
- الداعي علم الإسلام، 2006، **المجالس المستنصرية**، مؤسسة النور للمطبوعات، ط. 1، بيروت.
- الداعي عماد الدين إدريس، 1982، **عيون الأخبار وفنون الآثار**، السبع السادس أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق وتقديم مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت.
- الطبرسي، 1999، **مكارم الأخلاق**، دار البلاغة، بيروت، ط. 5.
- القاضي النعمان، 2005، **افتتاح الدعوة**، مؤسسة الأعلمي للمنشورات، بيروت.
- القاضي النعمان، 1996، **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي، دار المنتظر، بيروت.
- القمّي، 1991، **كمال الدين وتمام النعمة**، تصحيح وتقديم الشيخ حسن الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط. 1، بيروت.
- الكرماني، 1987، **مجموعة رسائل الكرماني**، تحقيق مصطفى غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط. 2.
- مصطفى غالب (**تحقيق**)، 1987، **أربع كتب حقانية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط. 2، 1987.
- المعز لدين الله، 2006، **أدعية الأيام السبعة**، تحقيق اسماعيل قربان حسين يوناوالا، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- المقريزي، 1996، **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تحقيق محمد حلمي محمد أحد، القاهرة، ج. 3.
- المقريزي، 1997، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، تحقيق محمد زينهم و مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة،ج. 2.
- النيسابوري، 1996، **اثبات الإمامة**، دار الأندلس، بيروت.
- اليماني، 1971، **الذخيرة في الحقيقة**، تحقيق محمد حسن الأعظمي، دار الثقافة، بيروت.







المراجع

- أحمد (عزيز)، 1980، **تاريخ صقلية الإسلامية**، نقله إلى العربية أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس.
- عباس (إحسان)، 1975، **العرب في صقلية**، بيروت، ط. 1.
- عبد الجواد (لطفي)، 2015، «كتابات تعويذية قرآنية وطلسمية على جرة من موقع مدينة رقادة الأثري»، ضمن أعمال الندوة العلمية الدولية الرابعة **الجبل والسهل في حوض المتوسط**، نصوص جمعها وأعدها للنشر جعفر بن نصر والنوري بوخشيم، تونس، ص. 187-201.

Bresc (C.), 2002 : « Les monnaies arabes des souverains chrétiens (IX^e^-XIII^e^ siècles) », In : Actes des congrès de la Société des historiens médiévistes de l’enseignement supérieur public, 33e congrès, Madrid. P. 177-194.

Collectif, 1994, Couleurs de Tunisie 25 siècles de céramiques, Paris.

De Luca (M.-A.), 1998 : Le monete con leggenda araba della Biblioteca Comunale di Palermo, Parte I, Palermo.

2013 : « La collezione di gemme islamiche del Museo Archeologico di Palermo », Revue Tunisienne d’Archéologie, n° 1, Tunis.

Engels (D.), 2010 : « L’insurrection d’Ibn Qurhub : La Sicile entre Fatimides et Abbasides », dans : D. Engels/L. Geis/M. Kleu (éds.), Zwischen Ideal und Wirklichkeit : Herrschaftsausübung auf Sizilien von der Antike bis zum Spätmittelalter, Stuttgart.

Fenina (A.), 2007 : Numismatique et histoire monétaire de la monnaie en Tunisie, t. II, Monnaies Islamiques, Tunis, n° 297-300.

Goitein (S.D.), 1967 : A editerranean society, the Jewish communities of the Arab word as portrayed in the documents of the Cairo Geniza, vol. I, Economic Foundations.

Grierson (P.), Oddy (W.-A.), 1974 : « Le titre du tari sicilien du milieu du XIe siècle à 1278 », In : Revue numismatique, 6e série, T. 16, p. 123-134.

Normana (Still Han), 1973, « The eleventh century merchant House of Ibn Awkal», (a Geniza Study), in J.E.S.H.O, vol XVI, p. 58-62.



مواقع الواب

http://aregy.com/forums/viewtopic.php?t=28192

http://numismatics.org/html/dpubs/islamic/ga/GayerAndersonPage30.html

http://www.sixbid.com/browse.html?auction=676&category=14856&lot=679229

https://www.sixbid.com/browse.html?auction=1903&category=39653&lot=1659778

